لكى تكون انسانا مهذبا

"اذا كان فى بعض ألفاظ هذا المقال ما ينبو عن الذوق الحسن ، فان فى السكوت عن موضوعه تقصيرا فى التنبيه الى واجب . وقد آثرنا أن نؤلم ذوق بعض الناس على أن نسكت عن عيوب لم يبق بد من التحدث فيها"

المحرر

١ — لا تبصق فى الطريق ولا فى أى مكان عام. لأن البصق منظر منفر يقرف الناس ويوسخ المكان وينقل عدوى المريض الى السليم . ولو نظرت الى مجالسيك فى القهوة وأنت تبصق لرأيتهم يغمضون أعينهم أو يشيحون بوجوههم اشمئزاز مما تفعل. ولو نفذ سمعك الى ما تهمس به نفوسهم لسمعت كلا منهم يقول لك فى سره : "الله يقرفك" .

ولست أرى فرقا بين الإنسان الذى يبصق على الأرض ، والحمار الذى يبول فى الطريق سوى أن الحمار معذور لأنه غير مسئول . وحسبك أن تعلم أن البصق فى الطريق معاقب عليه فى المدن الأمريكية بغرامة مقدارها خمسمائة دولار (مائة جنيه) .

٢ — لا تتمخط بأصابعك فى الطريق وتمسح مخاطك فى الجدران وأعمدة الترام والنور ، فذلك عمل بهيمى لا يرضاه إنسان مهذب . واذا كنت تشعر بشىء من القرف والاشمئزاز وأنت تقرأ هذه الكلمات وتقول فى سرك . "ما أقل ذوق الكاتب" فما بالك بالذى يرى هذا المنظر بعينيه ويسمعه بأذنيه ؟ وإنه لمما يوجب الأسف أن هذه العادة الشائنة القذرة لا تنحصر فى أوساط العامة بل هى تتعداهم الى الكثيرين من طبقة الأفندية والمعممين فى المدن وتكاد تعم أهل القرى . ويجىء السياح الأجانب الى بلادنا ويرون ذلك فيصفوننا فى صحفهم ومجلاتهم بأننا شعب متأخر قذر .

٣ — لا تلق قشر الموز أو المانجو أو البرتقال أو اليوسفى على أفريز الشارع ، فالأفريز معد للمرور ويجب أن يظل نظيفا . ويكفى أن تتصور أنك مار ومعك زوجتك فتزلق قدمها على قشرة موز فتسقط على الأرض فى شكل يضحك الناس ، يكفى أن تتصور هذا المنظر ومبلغ الألم الذى تحسه عندئذ لتحكم على ذلك المستهتر الذى ألقى القشرة فى الطريق بأنه انسان غير مهذب ولتلعنه ولو فى سرك بعض اللعنات . فهل ترضى أن يحكم عليك الناس ذلك الحكم وأن يصبوا عليك هذه اللعنات ؟ واذا كنت لا ترضى ذلك فلماذا تفعل ما تعيبه على غيرك؟

٤ — اذا أكلت فى مطعم فلا تتجشأ بحيث يسمعك غيرك ، ولا تنظف ما بين أسنانك بالفوطة ولا بالشوكة . فهذه أشياء تثير النفس وتستوجب الاشمئزاز . واذا قمت لغسل يديك فلا تنفخ ولا تمضمض ولا تتمخط ولا تبصق بصوت عال فان الآكلين يتأذون من ذلك وتجيش به نفوسهم حتى ليود بعضهم أن يغادر المائدة والمطعم ليرحم اذنيه من هذا الصوت ويرحم ذوقة من ذلك المنظر . ولا تنس أن معظم المصريين الذين يهجرون المطاعم البلدية رغم جودة طهيها ورخص أثمانها إنما يهجرونها فرارا منك ويؤمون المطاعم الافرنجية التى لا يدخلها أمثالك .

٥ — لا تزاحم غيرك عند ركوب الترام أو المترو أو الأوتوبيس ودع من سبقك الى المحطة يتقدمك فى الركوب ، فذلك أصون للنظام وأدعى الى السلامة . وإلا فاذا كانت المسألة مسألة قوة ففى الجمهور المتزاحم من هو أقوى منك ويستطيع أن يؤخرك عنه بقوته ، واذا كانت مسألة استهتار وعدم مبالاة بالغير فقد تصادف من هو أكثر منك استهتارا وأقل منك مبالاة . وقدم السيدات على نفسك فهن ضعيفات لا يتحملن المزاحمة بالأيدى والمناكب ، واذا كان بجانبك طفل فساعده على الركوب حتى لا يقع بين الأقدام وسط الزحام . وبالجملة فاسلك فى كل ذلك الطريق الذى تود أن يسلكه غيرك معك .

٦ — لا تلق أوراقك المهملة أو الممزقة فى الطريق . فلقد وضعت لك الحكومة فى كل شارع من شوارع المدينة عدة اسفاط "سلال" تجدها معلقة بأعمدة النور لتلقى قطع الورق فيها . فهل يصعب عليك فى سبيل المحافظة على نظافة الشارع أن تحفظ هذه القطع فى يدك حتى تصل الى السلة فتلقيها فيها ؟ مثل هذا العمل لا يكلفك شيئا ولكنه يرفع سمعة الشعب فى نظر الأجانب المقيمين بيننا ويحملهم على احترامنا أو على تحسين رأيهم فينا .

٧ — ماذا تفعل عند ما ترى ثلاثة أصدقاء أو أربعة يسيرون على أفريز الشارع صفا واحدا وقد تأبط كل منهم ذراع جاره فسدوا أمامك الطريق ؟ ألست تقول فى سرك إنهم ثقلاء يظنون الطريق العام ممشى فى حديقة أبيهم لا يشاركهم فيه أحد ؟ ألست تضطر إما إلى الإبطاء فى السير وراءهم حتى ينفسح لك بينهم مكان تمر منه ، وإما أن تنزل إلى الشارع نفسه فتعرض نفسك لخطر السيارات والمركبات ؟ هذه عادة فاشية فينا يجب الإقلاع عنها لأن الطريق العام معد للمرور لا للتسكع والمزاح ، فاحرص اذا سرت فى عدد من أصحابك أو من أهل بيتك على أن تسيروا مثنى مثنى على الأكثر أما ان تسيروا أربعة أربعة فدليل على أنكم أنانيون تستهترون براحة الغير ولا تفهمون مبادئ النظام العام ولا أوليات الآداب الاجتماعية .

٨ — أنت حر. هـذا صحيح ، ولكن حريتك محدودة بحقوق الغير ، فاذا أردت أن تضحى حقوق غيرك فى سبيل حريتك كان ذلك هو المفروض بعينها ، لك الحق فى أن تحمل سلما وتسير به فى الطريق ولكن ليس لك الحق فى أن تحمل هـذا السلم بالعرض وتسير به فى شارع الموسكى، فاذا اقتنعت بصحة ذلك فكيف تسمح لنفسك بأن ترمى عقب سيجارتك من نافذة بيتك الى الشارع فتقع على سطح سيارتى أو على طربوشى أو فى جيبى؟ وماذا تقول فى ذلك الذى يبصق من شباكه فتنزل البصقة على وجهك أو ثيابك أو حذائك ؛ فكّر فى كل ذلك طويلا واعلم أن الشارع ملك لك ولكنه ملك لغيرك أيضا واحرص على سلامة الناس كما تود أن يحرصوا على سلامتك وإلا فانت فظ متوحش .

٩ — أنت تقود سيارتك بسرعة لأنك تعتمـد على مهارتك فى القيـادة ، ولكنك فى الغالب لا تحسب حساب السائق الذى أمامك أو الذى وراءك وقد يكون أقل منك مهارة ودراية بأصول القيادة فيبطئ حيث لا يحسن الإبطاء أو يقف بغتة حيث لا يحسن الوقوف فتصطدم به أو يصطدم بك، وسواء أكنت أنت المحق أو المخطئ فقد وقع الاصطدام وحلت المصيبة ... وأنت تسرع بسيارتك لأنك تظن أن السابلة متيقظون متنبهون مفتوحو الأعين والآذان، ولكنك تنسى أن جمهرة الشعب وعلى الأخص طبقة الفلاحين الذين لم يألفوا ارتياد شوارع المدن إنما يسيرون وكأن الشارع لهم وحدهم ، أو كأنه ليس مفروضا على الواحد منهم أن يسمع أو يبصر أو يحاذر على حياته . أمثال هؤلاء يجب أن يدخلوا فى حسابك لأن ضوء السيارة لا ينبه أعينهم ولا صوت نفيرها يوقظ آذانهم .

١٠ — لا تسمح لخادمك بتنفيض سجاجيدك وأبسطتك بالمنفضة فى الصباح الباكر ولا فى ساعات القيلولة، لأنك تزعج جيرانك من فراشهم وتقلقهم من نومهم . وإذا كان مثل هذا العمل غير مقبول فى أيام الأسبوع العادية فهو مستنكر مكروه فى أيام الجمعة والسبت والأحد لأن لك جارا مسلما وآخر مسيحيا وآخر إسرائيليا وكل واحد من هؤلاء الجيران يتمتع بالعطلة التى يمنحها فى أحد تلك الأيام وكثيرا ما يكون قد أطال السهر فى العشية فهو يجب أن ينال قسطا من النوم أوفر من الذى ينامه فى بقية الأيام . وأنت إذ تسمح لخادمك بتنفيض الأبسطة والسجاجيد إنما تنتزعه من راحته انتزاعا يجعله يلعنك ويلعن اليوم الذى اختار فيه السكنى بجوارك .

" صريح "